



من دون رقابة

تهانينا للرقابة اللبنانية (والسورية بالتلازم). يبدو انها اقتنعت بأنّ منع الكتب عديم النفع، حتى اذا كانت فاضحة على غرار "تركيبة كارين-إي"، الاصدار الاخير من سلسلة "إس.آ.إس" والذي يباع علناً في المكتبات منذ اسبوعين. ويكفي لتبيان مدى ارتقاء الرقابة ان نذكر ان الرواية تقدم تفسيراً لاغتيال الياس حبيقة وتقمح في حبكتها، بل وفي حواراتها، شخصيات تعدّ مرموقة في بيروت، مثل مدير المخابرات اللواء ريمون عازار ومسؤول فرع "جهاز الامن والاستطلاع" في القوات العربية السورية العقيد الدكتور رستم غزالة!

على جري عاداته، ينطلق المؤلف الفرنسي جيرار دو فيلييه من وقائع حقيقية لينسج اطاراً سياسياً لمغامرات بطله "صاحب السمو الرفيع الامير مالكو لينج"، الارستوقراطي النمسوي الذي تلجأ اليه وكالة الاستخبارات المركزية، وفي السنوات الاخيرة، البيت الابيض مباشرة، كلما تعثرت شؤون الامبراطورية الاميركية في احد اصقاع العالم. حتى ان دو فيلييه لم يعد يتوانى عن استخدام احداث السياسة الدولية التي يمتصّ دمها في عناوينه نفسها (راجع مقالنا "مصاص دم السياسة الدولية" في هذه الزاوية، ٢٠٠٢/٢/٤). وكتابه الاخير خير دليل على ذلك، اذ يفهم من عنوانه انه سيكشف الوجه الخفي لقضية ال"كارين-إي"، هذه السفينة التي ضبقتها البحرية الاسرائيلية في البحر الاحمر مطلع هذه السنة وعلى متنها حمولة من الاسلحة ادعت حكومة آرييل شارون انها كانت ستذهب الى السلطة الوطنية الفلسطينية والتي كانت احد اسباب حصار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في رام الله. نحن اذاً في قلب الحدث.

لم يتأخر دو فيلييه في استيعاب نتائج ٩/١١ على صنعته الرابحة. عقب اعتداءات نيويورك وواشنطن مباشرة، اختار ان يهرب الى مملكة النيبال المضطربة بعد مقتل ملكها على يد ولي العهد. لكنه عاد في الرواية اللاحقة وقدم مساهمته في شرح ظروف الهجوم الطائر. فنجح مالكو لينج في كشف هوية "سيف بن لادن"، اي العميل السابق في ال"سي.آي.إي." الذي اشرف على عملية "القاعدة" على الاراضي الاميركية ثم انصرف الى تدبير هجوم جديد في احدى جزر الكاريبي كان سيودي بحياة الآلاف من السياح الاميركيين لو لم يتدخل الامير الساحر ذو العينين الذهبيتين في اللحظة الاخيرة. لكن الاله ان دو فيلييه، رغم عنصريته المعهودة، استطاع بسرعة ان يأخذ مسافة عن هوس "الحرب على الارهاب" الذي يسكن ادارة بوش الابن. وها هو في روايته الاخيرة، والثالثة هذه السنة (فهو مؤلف غزير وفي خدمته العديد من المساعدين والكتاب المرتزقة)، يرسم صورة ادارة اميركية خاضعة لاملاءت "ليكودية" بواسطة "الصقرين" بول وولفويتز وريتشارد بيرل، فيما ال"سي.آي.إي." متحفظة عن انحياز الرئيس بوش الى سياسة شارون.



في "تركيبية كارين-إي"، تريد وكالة الاستخبارات المركزية ان تثبت لبوش ان شارون ضحك عليه، فالرواية الاسرائيلية عن اعتراض الباخرة لا تنطلي على مندوب الوكالة في تل ابيب. ويتم استدعاء العميل الخاص مالكو لينج لهذا الغرض، فيبدأ تحقيقاً سياخذه من غزة الى بيروت مروراً بقبرص.

في غزة يلتقي مالكو مجدداً اللواء امين الهندي، قائد المخابرات الفلسطينية. اسمه "الادبي" عاطف الحسيني لكن طريقة وصفه لا تترك مجالاً للشك. وكان الاميرالنموسي قد بنى علاقة مميزة مع اللواء ذاته في رواية صدرت قبل عام ودارت حبكة حول احباط محاولة لاغتيال ياسر عرفات دبرها الاسرائيليون بالتلاعب بخلية من "حماس". وفي الحاليين تأكيد على التحول الهائل الذي طرأ على صورة الفلسطيني في الاوساط الغربية (خصوصاً بالمقارنة مع الروايات الاقدم من سلسلة "إس. آ. إس").

اذا كان اللواء الهندي يتجسد باسم حركي، فان دو فيلييه لن يكلف نفسه عناء تمويه هوية العقيد رستم غزلة، بل افراط في الواقعية، واصفاً ملامح وجهه وموقع مكتبه في فندق "بوريفاج"، من دون ان ينسى تحديد علاقته التراتبية مع اللواء غازي كنعان. هنا ايضاً، الصورة الاجمالية ليست سيئة (ربما هذا ما يفسر قرار السماح بدخول الكتاب الى لبنان). فحتى اذا كان دو فيلييه يخترع اختراعاً بعض التفاصيل التي يريدتها مفزعة، كأن يصف غرفة تعذيب في قبو الـ"بوريفاج" او يرصد حفرة اسفلت ترمى فيها جثامين القتلى في الضاحية الجنوبية او يحكي عن هيئة لم يسبق ان سمعنا بها يسميها "مكتب الاغتيالات" ويعهد بها (مع مفعول رجعي) الى اللواء كنعان، فان الانطباع الذي يعطيه عن السوريين انهم يريدون احسن العلاقات مع الغرب وان لبنان في عهدهم بلد "ممسوك"، والله اعلم كم يحب رجال الامن هذا الوصف.

اذا كان دو فيلييه ذهب الى تسمية بعض المسؤولين باسمائهم الحقيقية، الا ان واقعيته تبدو اضعف من العادة حين يأتي الامر الى اغتيال الياس حبيقة. ليس لأنه اختار له اسماً موهماً، مع احتفاظه له بلقب H.K.، ولكن لأن طريقة توريط المدعو "الياس كرم" بقضية الـ"كارين-إي"، بعد اعادة تحريك جهاز "الموساد" علاقته به، لا تتلاءم مع المكانة التي ظل يحتلها الشخص المرمز اليه. التركيبية قابلة للتصديق (لن ندخل في تفاصيلها حتى لا نحرم القراء متعة المتابعة)، لكنها لا تتطلب "عميلاً" بهذا المستوى، ولا تقدم في اي حال تفسيراً مقنعاً لاغتيال "الياس كرم". من الواضح هنا ان دو فيلييه اكتفى بقراءة سريعة لكتاب "كوبرا" (الممنوع في لبنان)، ولعل هذا التسرع هو ما يفسر كيف يعمد المؤلف الى "تعميد" مروان حماده واعدامه في جملة واحدة - كما يقول الوزير "الضحية" بنفسه مبتسماً - اذ يورد اسمه مع اسمي طوني فرنجيه وداني شمعون في عداد ابناء العائلات المسيحية الكبرى الذين قضاوا على يد "الياس كرم"!

وما يقال عن حبيقة يقال ايضاً عن الملاحظات السياحية "التي ينثرها المؤلف بين مغامرة جنسية ومحاولة اغتيال. فمن الواضح، بالنسبة الى من يعرف روايات دو فيلييه الاخرى، وخصوصاً التي تتعلق بلبنان منها، انه لم يقم بجهد ميداني وتوثيقي كفيل بالحؤول دون مغالطات مريبة: فيحكي عن شراء بضاعة بقيمة مئة الف ليرة من محل مرموق للثياب لا يجيدون فيه علم الحساب دون مستوى المليونى ليرة، او يصف مطاعم الوسط التجاري بـ"الانيقة والفارغة"، او يلبس بائعات الهوى في



اكبر فنادق العاصمة منديلاً، حتى لا نذكر الهجوم المجاني على نوعية الـ"كوت دو بوف" في مطعم
اشتهر بحسن اعداده لها – على ما يدعيه الذواقة.

لكن ذلك سبب اضافي لتجديد التهاني الى الرقابة اللبنانية (والسورية بالتلازم). فاذا لم تعد "سمعة
البلد" حجة للمنع، فهذا يعني ان احداً من الرسميين لن يزرعج بعد الآن اذا قام اهل البلد انفسهم بتنفيذ
عيوبه، ومن دون مغالطات هذه المرة.

سمير قصير



Id-Reference	02Pr-000003	
Media	(Support)	HC
Title		من دون رقابة
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٢/٧/٢٢ 22/7/2002
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	امين.هندي - ياسر.عرفات - الياس.حبيقة - ريمون.عازار - رستم.غزالة - غازي.كنعان - مروان.حماده - الياس.كرم - جورج.بوش - جيرار.دو.فيلبييه - مالكو.لينج - ارييل.شارون - طوني.فرنجه - داني.شمعون - عاطف.حسيني - بول.وولفويتز - ريتشارد.بيرل
	Locations	لبنان - سوريا - اميركا - نيبال - اسرائيل
	Dates	9/11
	Themes	لبنان - سوريا - كتاب.كوبرا - رقابة.لبنانية.سورية - رجال.مخابرات
Subject		